



قوائم المحتويات متاحة على ASJP المنصة الجزائرية للمجلات العلمية
الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية
الصفحة الرئيسية للمجلة: www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/552



التفكير الفلسفي واليومي وأشكاليات التكنولوجيا

Philosophical and daily thinking and technology issues

د. غنيمته هارون^{*، 1}

¹ جامعة حسيبة بن بوعلي، شلف، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية-الجزائر.

Key words:

philosophy
technology
daily
ethics.

Abstract

There has always been a common belief that philosophy is limited in its study to addressing metaphysical problems..., but with the threats of the power of technology since the beginning of the twentieth century and with the sweeping of technology to all fields of knowledge, a wide gap appeared between human thought and those developments, which made it imperative for the philosopher to come into contact with In reality and in the daily, to derive from it the foundations through which it must find solutions to the practical problems facing society, so philosophy has to forge a new path in line with the technological explosion and its impact on human reality, and thus a new philosophy has emerged that deals with the daily and thorny scientific, human and ethical issues.

ملخص

معلومات المقال

تاريخ المقال:

الإرسال: 2023-01-21

القبول: 2023-07-11

الكلمات المفتاحية:

الفلسفة

التكنولوجيا

اليومي

الأخلاق.

طالما كان هناك إعتقاد شائع بأن الفلسفة تقتصر في دراستها على معالجة المشكلات الميتافيزيقية...، ولكن مع تهديدات قوة التكنولوجيا منذ بدايات القرن العشرين ومع إكتساح التقنية لجميع حقول المعرفة وظهرت بذلك هوة واسعة بين فكر الإنسان وبين تلك التطورات، مما حتم على الفيلسوف أن يحتك بالواقع وبال يومي ليستقي منه الأسس التي عليه أن يجد من خلالها حلولاً للمشكلات العملية التي تواجه المجتمع، فأصبح على الفلسفة أن تشق طريقاً جديداً يتماشى مع الانفجار التكنولوجي وأثره على واقع الإنسان، وبذلك ظهرت فلسفة جديدة تتعاطى مع اليومي والقضايا العلمية والإنسانية والأخلاقية الشائكة.

1. مقدمة

نهاية جميع الآمال الفلسفية، إذ شهد القرن العشرون ازدهارا ملحوظا للتيارات المنتقدة للنزعة الفلسفية ومباحثها فأصبح الإنسان فاقدا للقيمة من خلال ظهور الكثير من التيارات التي دعت وأكدت على ضرورة الاهتمام بالمعرفة العلمية كبديل عن المعرفة الفلسفية، وهذا ما شوهد مع الوضعية المنطقية فأعلن بعض رجالها نهاية الفلسفة، واتضح أكثر "في نهاية القرن العشرين أن الفلسفة التي أرادت أن تكون علما دقيقا قد أخفقت في محاولتها تلك" (ماريف (2017)، ص11)، وبذلك ومنذ تلك الفترة ستشهد المعرفة الإنسانية وباسم الأبيستمولوجيا فصلا بين العلم والفلسفة واعتبار العلم المعرفة الوحيدة والفلسفة معرفة ناقصة أو علما ناقصا، وأصبح ينظر إلى الفلسفة أنها غامضة ومجردة ولا طائل من ورائها، وذلك خاصة أن مردود الفلسفة ليس سريعا كما هو الحال بالنسبة للعلوم والتكنولوجيا الذين ينظر لهما أنهما خير، فالعلم يعتمد على التراكم المعرفي أما الفلسفة فتعتمد على نقد ما توصل إليه الفلاسفة، إضافة إلى الميزة المنهجية للعلم التي تقلل من الاختلافات العلمية في مقابل اعتماد الفلسفة على البراهين العقلية التي لا تؤدي إلى الاتفاق العام بين الفلاسفة، وبذلك تراجع الفكر الفلسفي أمام التقدم العلمي والتكنولوجي كما رافق هذا التقدم سطوة إيديولوجيا العلم، ورسخ في الأذهان أن العلم بات قادرا على صنع كل شيء في حين الفلسفة غير قادرة على أي شيء فأصبح العلم مكونا أساسيا للحياة، وبذلك توارى الفكر الفلسفي مع انبهار الإنسان بأنوار المنجزات العلمية والتكنولوجيا منذ عصر الأنوار.

ولكن اليوم ومع تصاعد تهديدات التكنولوجيا والمخاطر التي تفرزها أصبح الفيلسوف يبحث عن امتلاك رؤية جديدة وخاصة إلى التكنولوجيا والطبيعة والإنسان وتبلور علاقة خاصة بين هذه الأطراف، فكان أهم تحول حصل في مرحلة ظهور التكنولوجيا هو التغير الطارئ على نظرة الفيلسوف للعالم إذ حلت رؤية جديدة محل الرؤية القديمة، وهذا النوع من الرؤية تحول في حد ذاته إلى تبلور في الأمور حيث فتحت ابواب المعرفة على مجال جديد شرعت نوافذ الشك في المعرفة نفسها، ولذلك فإن السؤال الذي نطرحه في هذه الورقة وسنحاول الإجابة عنه هو: كيف غيرت إشكاليات التقنية موضوع واهتمامات الفلسفة؟ وكيف أصبحت التكنولوجية في الحاضر موضوعا للفلسفة؟ وإلى أي مدى يمكن للفلسفة أن تساهم في تقديم علاج للمشكلات التي تسببها التكنولوجيات الحديثة؟.

2. علل الحداثة التكنولوجية ومشكلاتها

ورغم أن "مفهوم التكنولوجيا في جذوره يعود إلى حضارة الإغريق فمصطلح "تكني" (Techne) استخدم للدلالة على المهارة المنتجة عند الإنسان، في مقابل 'فيزيس' (physis) وهي القدرة الفطرية الطبيعية للإنسان، وبالعبارة نقول تكنولوجيا أو تقانة بينما "تقني" تقابل (technical) و"تقنية" تقابل (technique)" (أبودية (2021)، ص9)، ولذلك فالتكنولوجيا هو

لقد اكتسب العلم والتقنية منذ أوائل القرن العشرين أهمية تفوق أهمية أي إنجاز آخر طوال تاريخ البشرية، وإذا كانت الإنسانية تفتخر عن حق بفلسفتها وآدابها وفنونها وثقافتها وتعترف بما تدين به لهذه الإنجازات من فضل في تشكيل عقل الإنسان وروحه ووجدانه وحتى مجتمعه ومحيطه، ولكن المكانة التي اكتسبها العلم وتطبيقاته خاصة منذ منتصف القرن العشرين والتأثير الذي استطاع أن يمارسه في حياة البشر بغض النظر عن كون هذا التأثير إيجابيا أو سلبيا، يجعل العلم بغير شك هو الحقيقة الكبرى في عصرنا الحاضر بل هو روح العصر ومن ثم في كل العصور التي ستأتي لاحقا، ولأنه وكما هو مؤكد كل تقدم علمي حامل في طياته لما هو سلبي ومناف للأخلاق ولما هو إيجابي يستفيد منه الإنسان في جوانب متعددة من حياته كاستخدام الآلة التي توفر له الكثير من الخدمات وبالتالي تسهل له حياته ومعيشته... إلخ، ولكن تلك المشاكل التي تفرزها التقنية قد تعددت بعدد التقنيات المختلفة وحيث تعكس كل تقنية مجموعة من الانتهاكات لقدسية الحياة البشرية بل وللحياة على هذا الكوكب كله، وخاصة بعد أن حدثت انزياحات بل وتجاوزات كبيرة في منظومة القيم، وذلك منذ أن انتقلت السلطة من الدين إلى العلم منذ عصر الأنوار فانتمت على ضوء ذلك الروادع القيمية الأخلاقية التي كانت تقنع الناس بالاتصاف بالخصال الخلقية والتي تمنعه من استعمال السبل المتاحة المشروعة وغير المشروعة للتدمير نفسه أو الآخر أو البيئة التي يعيش فيها.

لقد غدت إذن المعرفة العلمية والقدرة على التنبؤ والإفادة العلمية روح العصر، ولاشك أن اتساع العلوم وكثرة الاختصاصات وابتكار المزيد من الآلات جعلت الإنسان يرى أن الكون المحيط به كبير ولا نهائي بل ومخيف، وأن الإنسان صغير وضئيل وتافه وعابر إلى جانب هذا الكون العملاق، فعلم الذرة وعلم الفلك واستعمال المراسد والآلات الغوص والكمبيوتر والرادار... إلخ جعلت الإنسان يرى أن الطبيعة الخارجية ليست بهذه البساطة والسذاجة والسهولة كما ظنّها في السابق، فالأبحاث الحديثة في الطب والفيزياء والكيمياء وعلوم النبات والحيوان جعلت المرء يعيد النظر في كل ما عرفه وتعلمه في الماضي، فقد قدمت له صورة مخيفة عن الكون وأبعاده وقوّته واتساعه، كما اظهرت بالمقابل ضعف الإنسان وهشاشته في الكون، ولذلك فالיום وسواء أكانت التقنية عوناً مهماً وشريكا للإنسنة أم مسؤولية عن كل الأوجاع التي نتجت عن نزع الطابع الإنساني وعن تشيئ العالم الإنساني فقد غدت أيضا موضوع الفلسفة، فإذا كان الفيلسوف في الحضارات السابقة كان يعتقد أنه ضليعا بسائر أنواع المعارف والعلوم، وكانت المعرفة التي تحتل المرتبة الأسمى بين المعارف جميعا هي المعرفة الفلسفية، فكان الفيلسوف في كل تلك العصور مؤرخا طبييا عالما... ومربيا... إلخ، ولكن ومع عصر الحداثة والتصنيع أي في القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين الذي يعدّ

أرضاً خراباً أو تلك المخاطر التي تهدد الحياة على كوكب الأرض نفسه.

وبذلك عندما تدخل الإنسان في الكون عن طريق التقنية اساء إلى كل شيء، فعندما حاول إخضاع الطبيعة له من أجل تسهيل احتياجاته أحدث الكثير من الاختلالات في موازين الكون والطبيعة من اندثار الكثير من الحيوانات والنباتات إلى جانب الجفاف والتصحر، وتغير المناخ...، وبسبب اختراعه القنبلة النووية والهيدروجينية والذرية أبعد وقضى على الكثير من البشر وانتهكت قداسيه الإنسان وكرامته... إلخ، وبذلك بدأت تطرح هذه التقنيات مشاكل وجودية وأخلاقية لم تكن تخطر ببال الإنسان أو صانعها حتى للوهلة الأولى ولعل أهمها على الإطلاق أنه لا أحد يعرف بالضبط النتائج المتتابة لهذه التقنيات المختلفة، فإمكانية أن تأتي نتائج مخالفة تماماً لما أراده الإنسان واردة دائماً، لذلك فهذه "التحوّلات التي تسببت وتسبب بها التقنية والوسائل الجديدة التي تدخلها إلى العالم تجعل الإنسان المعاصر تأنها يتنازع الذهول أمام محاسنها والرعب من انزلاقاتها، ذلك أن الوسائل الجديدة التي نحس بها ليست تحوّلًا صغيراً في الهوامش يترك العالم وكل المعرفة التي اكتسبناها وصبرنا على اكتسابها يتركها سليمين: إنّ طبيعة التحوّل مزدوجة: فمن جهة أولى هو إقرار فعليّ لسلطة شبه كليّة على الطبيعة، ومن جهة أخرى فهو يُعيد تشكيل عناصر أنثروبولوجيا أساسية كانت تبدو إلى حدّ ذلك التاريخ في منجى مثل: الزمان والمكان والرمزي واللغة" (غراسان (2019)، ص39)، ولقد غدت معها حتى العلوم الحديثة في عمقها علوم تقنية لأنها مسكونة بهم السيطرة على العالم من جهة ولأنها تفكر بكيفية تقنية من جهة أخرى وهذا لا ينطبق على علوم الطبيعة فقط بل حتى على علوم الإنسان، وبذلك أصبحت أكثر هيمنة واستقطاباً وإغراء للعقل الإنساني الكوني، وأكثر من ذلك فإن التصور العلمي-التقني يتجه إلى أن يفرض ذاته في كل المجالات بوصفه الأسلوب الوحيد الممكن للتفكير والحياة إلى أسلوب ثابت في التفكير يجعل كل مشاكلنا تبدو وكما لو كانت مشاكل تقنية يمكن حلّها باستعمال ممارسات تقنية، وحتى التعليم والتكوين على سبيل المثال أصبح يختزل دورهما في نقل مهارات جاهزة قابلة للتطبيق في كل آن... إلخ.

وبذلك يظهر أن نتائج التقنية أو التكنولوجيا لا يعدّ صالحاً كلها أو أنها كلها تهدف إلى خير المجتمع ورهائيتها البشرية، "ولم يعد من الممكن الاعتقاد أن ثمار العلم دائماً مفيدة فالعلم يمكن أن ينتج الخير والشرّ معاً، ذلك لأنه يتحقق من خلال الإنسان الذي يملك هذين العنصرين معاً" (البقصي (1993)، ص228)، ولقد أدرك الكثير من الفلاسفة والمفكرين من هم مثلاً غوته Johann Wolfgang Goethe في العام 1919 "إلام تصير المعرفة إن لم ترافقها الحكمة؟، وإلى أي شطط يمكن أن تفضي قوّة الفكر إذا كان الإنسان عديم الشفقة؟، يقتلنا كلّ ما يحرر فكرنا من دون أن يزودنا بالسيطرة على أنفسنا والتحكّم بها" (قببسي (2013)).

ميدان ومساحة يمكن للأمر والنشاطات أن تظهر بالصورة التي هي عليها، وتفسير التكنولوجيا بهذا المعنى يتجاوز الدور الآلي ويحصل على تعريف أكمل يتمثل في كون التكنولوجيا أسلوباً ونمطاً من الانكشاف والحضور، ولذلك فإن التعريف الحقيقي للتكنولوجيا هي أنها "أفق فكري و"طريقة انكشاف" وكيفية في التفكير ونمط للعلاقة مع الآخرين ومع العالم إنها نمط في الوجود، التكنولوجيا من هذا المنظور هي الأداة الخاصة تحوّل كل شيء إلى أدوات ووسائل" (بن عبد العالي (2009)، ص207).

والعالم يشهد اليوم تقدماً علمياً تقنياً منقطع النظير ولقد استطاعت التكنولوجيا عامة وفي جميع الميادين أن تحقق الكثير من الإنجازات ذات الفائدة العظيمة على البشرية عامة، ويكون جاحداً الذي ينكر الإيجابيات التي لا تحصى للتقنية ودورها الفعال في تحسين معيشة البشر وتطوير نظامهم الغذائي والعلاجي والتخلص من الكثير من الأمراض وتقريب المسافات وتخفيف الكثير من الأعباء، وتحقيق رفاهية عالية في كل نواحي الحياة... إلى غير ذلك من المحاسن التي استطاعت وتستطيع أن تحققها والتي لا يمكن عدّها أو حسابها، ولكن هذه التكنولوجيا حملت ومازالت تحمل في طياتها الكثير من المخاطر الكامنة التي لا نستطيع حيالها سوى أن نتنبأ بجزء يسير منها فحسب، ولذلك فأرض الواقع باتت تشهد كوارث شتى حيث انتهت هذه التقنيات مثلاً إلى تبرير القتل وإن كان على حساب مجموعة بشرية على أخرى، وتم التلاعب بجيناته الوراثية حتى أصبح من الممكن أن يعاد تشكيل هذه الجينات وفقاً لتصميمات تكنولوجية معينة من أجل إيجاد كائن بشري بصفات محددة سلفاً إذ أصبح هناك تسابق بين الشركات التجارية إلى تملك تكنولوجيا الإنسان المعدّل أو المقوى أو المستزاد إما بالتحسين أو التهجين، والسعي لولادة أطفال بمواصفات معينة، أو إنشاء كائنات بشرية في مختبرات البحث واستعمالها كأدوات ووسائل لتحقيق أهداف غير مشروعة... إلخ، ومنها أيضاً نتائج الإخصاب الصناعي الذي يؤدي مثلاً إلى الخلط في العلاقات بين البشر وانتشار ما يسمى بالأسر الواحدة الأب وتأجير الأرحام، زرع الأعضاء... إلخ، "وقد انتهت معظم هذه التقنيات على تبرير القتل وتمني الموت وتفضيله على الحياة، بل كانت أهم هذه الكوارث انتهاك قدسيّة الإنسان ومعاملته على أنّه مجرد شيء أو موضوع من الموضوعات التي يمكن أن تعرض للتجربة واختزال الإنسان إلى مجرد عينة، لينقلب الإنسان الصانع على نفسه ويهيئ له أن يقوم بدور الإله الخالق... على الرغم من أن الخالق أبدع هذا الكون على غير مثال سبق ووضع كل شيء في أحسن تقويم" (السيد علي (2019)، ص220)، لقد تعددت المشاكل بعدد التقنيات المختلفة حيث عكست كل تقنية مجموعة من الانتهاكات بشكل غير مسبوق وبصور شتى كما هو ملاحظ، فضلاً عن المشاكل الأخرى التي تنتج عن استخدام الأشكال المختلفة للتقنية في الطبيعة والمجتمع والإنسان والتي تهدد حياة الأجيال القادمة والتي يبرز حقهم الأخلاقي في ألا نورثهم

الاتصال بالموضوعات اليومية والعينية والواقعية التي تبرز من الممارسات العملية سواء في مجال الطب أو أي مجال آخر، ولكن حاجة المجتمع أجبرتهم على التدخل لإيجاد حلول لمشكلاتهم وعلى الالتفات إلى اليومي والمستقبل، فشرعت في البحث عن معنى جديد للحياة وعن قيم أخرى تتعلق بها، والذي حفز على ظهور تخصصات تهتم بهذا الإنسان بغية تجاوز الأزمات المحيطة به، "ففي اللحظة التي أصبح فيها الخيال العلمي واقعا اتضح للجميع أن هناك مشكلات أخلاقية واجتماعية ودينية وحتى قانونية ستترتب على هذا الكشف العظيم، لذلك أصبحت هناك حاجة ملحة لبناء فلسفي وقانوني يواكب التعقيدات التي يمكن أن تؤدي إليها التطورات العلمية الجديدة، ولهذا أسندت مثلا الحكومة البريطانية في سنة 1982 إلى "ماري ورنك" Mary Warnock (1924-2019) مهمة تشكيل 'لجنة ورنك' تقوم بدراسة المشكلات المرتبطة بموضوع الإخصاب الصناعي وعلم نمو الجنين مثل الأم البديلة، والإخصاب خارج الرحم بمساعدة متطوع (سواء جرثومة منوية أو بويضة أو رحم)، أطفال الأنابيب وأخيرا الاستنساخ الحيوي من زاوية أخلاقية، وعلى الرغم من أن اللجنة شملت مجموعة من الأطباء والقانونيين واللاهوتيين وعلماء الاجتماع وحتى أناسا عاديين فإن رئاستها أسندت إلى واحدة من المشتغلات بالفلسفة هي "ماري ورنك" وقد نشرت اللجنة تقريرها في سنة 1984، والذي أثار الاستغراب أن الحكومة البريطانية لم تسند أمر لجنة كهذه إلى طبيب مختص أو محام قدير أو لاهوتي مرموق وإنما أسندته إلى أستاذة فلسفة لها باع طويل في دراسة الأخلاق عموما والأخلاق الوجودية بنوع خاص، وتساءل الكثيرون من المهتمين بالموضوع مثلما تساءلت ناهد البقصي كواحدة مهتمة بالموضوع: لماذا أقدمت الحكومة الإنجليزية على تعيين أستاذة للفلسفة لرئاسة هذه اللجنة؟ وما الذي يعنيه ذلك؟ -وتجيب- إنه إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على اعتراف المجتمع بأن الفلاسفة أصبح لهم دور مهم وخطير في حلّ مشكلاته بعد أن كان الظن الشائع أن مجالهم مرتبط بالدراسة النظرية وحدها أو تحليل اللغة فقط" (البقصي 1993، ص 20-21).

لقد تعقدت المشكلات الأخلاقية خاصة التي أثارها ويشيرها هذا المجال وتعدد المشتركين في النقاش من علماء الدين وعلماء الاجتماع وعلماء النفس والمفكرين الأخلاقيين والصحفيين... والكثير من أفراد المجتمع وبتعدد المختصين المشاركين وتعدد خلفياتهم الثقافية واهتماماتهم ما يعني تعدد الآراء والحلول المطروحة، وبالتالي صعوبة الاعتماد على الطبيب وحده في التوصل إلى حل واحد مناسب مما يؤدي إلى تعقيد المسألة أكثر فأكثر، ولقد ظهرت تبعا لذلك منذ خاصة 1960 مجموعة كبيرة من اللوائح والمعاهدات الطبية لكل فرع من فروع الطب مثل "معاهدة جنيف للأخلاق الطبية" و"إعلان هلسنكي الطبي Declaration of Helsinki" ومبادئ الأخلاق الطبية للجمعية الطبية الأمريكية" كذلك "اللائحة الأخلاقية

ولكن "ولأن في الوقت الحاضر يعتبر العلم مشروعا اجتماعيا وجماهيريا متكاملًا ليس بسبب المساندة المادية فقط وإنما أيضا لأن تأثير العلم نفسه أصبح تأثيرا اجتماعيا بسبب التطبيقات التكنولوجية، إذ إنه في الوقت الحاضر يؤثر على حياة الناس ورفاهيتهم بشكل مباشر، ولذلك لم يعد من الممكن وضع حد فاصل بين التأثير الخاص والمحدود للعلم وتأثيره العام وغير المحدود أي الحد الفاصل بين ما يقدمه العلم من نظريات وبين التطبيق الذي يشمل المجتمع ككل" (البقصي 1993، ص 227)، ولأن الجميع يدرك أننا نعيش وننتفع بالسرعة ذاتها من عصر التقنية، وذلك بالاستفادة من هباتها السخية على الرغم من السيئات وإن كانت أحيانا كبيرة وخطيرة كما قلنا سابقا لكن يتم نسيانها أو تجاهلها عند العودة إلى ميزان الربح والخطر، ولأن الهرب من التقنية وشيطنتها يقودنا إلى معيشة مستحيلة من الناحية الموضوعية فنضطر إلى الانسحاب من العالم أو الانفصال عنه، وقد يترتب على هذا انطواء كاره للتقنية تقهقر الشروط المادية بحيث يصعب إدراكه، ولذلك فإن الكثيرين اليوم يكررون بالإجماع المبدأ القائل بأن التقنية ليست هي المشكلة بل المشكلة في استعمالها، ولذلك فهم يدعون إلى تحمّل المسؤولية في استعمال التقنية وإلى الوعي والأخلاق من أجل تأطير الإضافات الجوهرية والتأثيرات التي جاءت بها العلوم والتقنيات على الوضع والحياة البشريين منتصرين بذلك للتقنية البشرية، وخاصة منهم الفلاسفة والذين يؤكدون أنه ومن خلال المزاوجة بينهما أي بين التقنية والفلسفة سيكون ذلك الحليف الموضوعي للإنسانية والحداثة، وإن كان هناك أيضا المتشائمون الذين يعبرون بقلق بسبب عدم وضوح ما يحدث، وبالمقابل هناك أيضا المتفائلون ومحبو التقنية المعتادون عليها الذين لا يبالون بالكوارث التي تنجم عنها.

3. تحولات وظيفة الفلسفة وتبدلات المعنى الفلسفي

لقد اقتحمت إذن التقنية جميع مجالات الحياة باعتبارها شبكة معقدة وقوة مهيمنة تفرض ذاتها وسيطرتها، لقد اقتحمت البيئة الطبيعية وأضافت إليها بيئة مليئة بالآلات والتقنيات حتى صارت الآلة منتشرة في كل مكان وتبني بتعويض حتى الإنسان، لذلك أصبح يقال "لقد صنع الإنسان فناءه بيده ولقد صارت التقنية عقلانية مغلوطة بتعبير ماركيز وأقامت لنفسها محكمة تحاكم كل من تجاوز حدود التعامل معها" (زغلول السيد 2019، ص 187)، ما مهد ظهور ملامح ثقافة جديدة في العالم كله والغربي خاصة، وكانت البداية تتبنى مبادئ تقوم أساسا على هدم القيم وتبلور الخطاب الرافض للكلية وتكريس النسبي واليومي مقابل الحتمي والتاريخي، وبذلك غدت الفلسفة أيضا تهتم باليومي وبالأولويات المستقبلية للإنسان والبيئة والحياة كلها، فإذا كان وإلى غاية أوائل القرن العشرين كان الاهتمام الأساسي للفلاسفة كما قلنا سابقا لا يزال منحصرًا في القضايا التجريدية وتحليل العبارات وتعريفها، بحيث إنهم فقدوا

العلمي أثره في تطور خطاب أخلاقي مرافق ومستجيب لتلك التحولات لقد ظهر ما يسمى بـ:

3.1. أخلاقيات التقنية

ليصبح موضوعا مستقلا كفرع بمنهج خاص ضمن الفلسفة، ويعتمد نطاق وبرنامج موضوع أخلاقيات التقنية إلى حد كبير على تصورنا للتقنية نفسها، وكان من بين أكبر القضايا المثارة فيها ثورة الجينوم: خاصة قضية تحديد جنس الولد وإمكانية التحكم فيه وقضية تكنولوجيا الإخصاب الذي تحول إلى عملية تكنولوجية - كما يعتقد البعض - بعد أن كان إنسانا مائة في المئة والهندسة الوراثية، وأطفال الأنابيب، الاستنساخ البشري أو الحيوي، الأمومة، التجارة والاستغلال للأجنة والموت الرحيم... إلخ، وإن أخذ هذا الأخير الموت الرحيم بعدا آخر إلا أنه من نتائج التطورات التقنية والطبية للثورة البيولوجية، حيث "يؤدي مشروع الجينوم البشري إلى تحديد مواقع الجينات بشكل أسرع بكثير من تطوير علاجات للأمراض التي تسببها، واكتساب المعارف الوراثية التي تسبق بكثير جميع القوى العلاجية، وهذا الوضع يطرح صعوبات استثنائية أمام المعرفة الوراثية" (صورية (1997)، ص 183)، لقد اهتزت قنوات الكثيرين من خلال إمكانية التدخل في الطاقم الوراثي - الجينوم - وإمكانية إنتاج أعضاء بيولوجية من خلال تقنيات الزراعة والحواضن الطبيعية (Couveuses) وبالتالي إمكانية تربية حظائر بشرية على الشكل نفسه التي تربى فيه دواجن في حظائر حيوانية، ليشير بذلك القرن العشرين والقرن الواحد والعشرين الخوف والقلق للإنسان، لأن ثورة الجينوم في نظر الأخلاقيين والقانون ورجال الدين والفلاسفة وغيرهم من المفكرين قد فككت كليات الإنسان كوحدة وقضت على جوهره وحطمت معالمه السرية فبعد ما كانت الأسرة منبع الراحة الوحيد للإنسان من كل مشاكله وهمومه تحطم مفهومها في ظل الهندسة الوراثية، لذلك يعتقد اليوم "إن الأسرة تقترب من نقطة الانقراض التام بفعل منجزات التغير والجدة في نطاق تحسين النسل وهندسة الوراثة" (الحفار (1984)، ص 98).

3.2. البيوتيقا

فالتكنولوجيا الطبية وتوسعها الهائل أدت إلى إثارة نوع آخر من الأسئلة الأخلاقية بدأت تطرح خاصة منها مثلا: هل يمكن إذا حدث خطأ ما في التجارب التي تحدث في هذا المجال أن يؤدي إلى عواقب وخيمة؟، وهل يجب أصلا أن تجري تجارب في هذا المجال أم لا؟، وهل يجب أن نعالج الشخص المحتضر الذي يعاني آلاما مبرحة إذا كان العلاج متوفرا أم نمنع عنه العلاج إشفاقا عليه من الآلام وخاصة نحن نعرف أن حياته منتهية؟، والتساؤل عن وضع الجنين الأخلاقي؟، وما الذي يجعل الإنسان من دون المخلوقات كائنا مقدسا له حقوق أخلاقية؟، كيف نحافظ على الحياة؟، متى تصبح الحياة قيمة أخلاقية؟... إلخ، وخاصة بعد أن أدت هذه التكنولوجيا الطبية الحديثة - وخاصة بعد دخول الكمبيوتر هذا المجال - إلى أن يتحول المرضى

للمساعدين الطبيين... وغيرها من اللوائح للمرضى والإداريين وكانت تتعرض دائما للانتقادات، فبعضها تحمل في طياتها مغالطات تاريخية ومفاهيم أخلاقية غير مقبولة تؤثر على العلاقة الاجتماعية التي تربط الطبيب بالمرضى، ولكن تبقى هذه اللوائح وغيرها هدفها تشجيع النشاطات المهنية على التوصل إلى أهداف اجتماعية مجدية، إنها تجسد المعايير التي يجب أن يشكل على أساسها كل طبيب ضميره، وقدرته على التفكير الأخلاقي وبذلك يكون قادرا على السيطرة على نفسه وعلى مهنته "البقصمي (1993)، ص 58)، ولكن في الحقيقة كان كثيرا ما يجد الطبيب نفسه في صراع مع (العهد) أو الميثاق الذي يتعهد فيه أن يطبق بنوده كلها رغم أن هذه البنود لا تتفق مع مبادئه الشخصية أحيانا ولا تتفق مع المواقف التي تواجهه أحيانا أخرى، ولذلك ظهرت الحاجة الملحة إلى نظرية أو نظريات في الأخلاق تقوم على مبادئ فكرية وفلسفية وتتجنب مثل تلك التناقضات بقدر الإمكان، ورغم أن تحقيق ذلك كان في ذلك الوقت يعتبر نوعا من الطموح الجامح ولكن ذلك لم يمنع هؤلاء الفلاسفة والمفكرين من محاولة على الأقل تنظيم الأفكار الفلسفية والنظريات المختلفة للوصول إلى شبه بناء فكري منظم للأخلاق الطبية والبيولوجية خاصة بحيث يمكن أن يخدم العاملين في هذا المجال بالإضافة إلى الحكومات والمرضى أيضا، ومما فتح بابا واسعا امام المشتغلين بالفلسفة لكي يدلوا بدلوهم في التصدي لهذه المشكلات الطبية المعاصرة.

ولذلك ومنذ القرن العشرين وبسبب ما أحدثته التقنية على المجتمع خاصة منذ الثورة الصناعية غدت أخطار التقنية هي واحدة من الاهتمامات المهمة للفلسفة، فمخاطر الاستنساخ كما سبق وقلنا مثلا طرحت قضايا أخلاقية تمس الوجود الإنساني مثل مفهوم العائلة والعاطفة والاستقلال والهوية... وغيرها، وهذا ما أكدته الطبيب 'فرنسو داغوني' François dagognet بقوله "يوم دخلت البيولوجيا حرم الحياة أصبحت تثير تساؤلات أخلاقية فالمشكلة الأخلاقية توجد تماما في قلب البيولوجيا المعاصرة" (حرب (2013)، ص 9-14)، فقد تبين أنه إذا سُمح للتكنولوجيا عموما بالاستمرار دون قيد أو شرط وتركت الأمور بيد العلماء وحدهم دون تعاون الجميع خاصة الفلاسفة والمفكرين فقد يمكن أن يؤدي ذلك إلى حدوث كارثة؟، ومن ثم ظهرت الحاجة الملحة إلى التوفيق بين نظام قيمنا الذي بدأنا نفقده وبين تلك التطورات، خاصة ونحن نعرف أن الوقوف في طريق العلم أمر صعب فقد ننجح في فرض بعض القيود ولكننا لن نوقف العلم ولا يعتقد أن أي عاقل يرغب في ذلك، ولذلك ظهرت الحاجة في إعادة النظر في نظام قيمنا وفي فكرنا الأخلاقي للتوفيق بينها وبين هذه التطورات، فنحن اليوم بحاجة إلى أخلاق تتفق مع عصر التكنولوجيا، لكي نصل إلى حلول يمكن أن تساعدنا على تطوير أنفسنا والعالم المحيط بنا، فلا يمكن أن نترك أدواتنا التي صنعناها بأيدينا تستخدم للتلاعب بالحياة والتحكم فيها والسيطرة على أرواحنا، ومن ذلك انبثق من هذا التمهيد

عندما يتم رسم مستقبله من دون أخذ حريته بنظر الاعتبار إذ لا قبل للإنسان بأن يتحمل أن تكون حياته ومستقبله محددين جينياً مع ما نعلم من مدلول ذلك بالنسبة إلى حريته، إذ لا يمكن للفرد أن يبقى مؤمناً بحريته إذا كان مستقبله ومآل أفعاله معلومين له من قبل، فنجد هنا هابرماس يريد من خلال محاربته للتحسين الجيني بواسطة التقنية وعلم البايولوجيا أن يعتبره أمراً مرفوضاً لأسباب أخلاقية وإنسانية وقانونية، فبالرغم من مدحه وإشادته بالقيمة العلمية المدهشة التي حققها علم الوراثة وعلى عظمة الفتح الذي أتاه للإنسانية أبستمولوجياً، إلا أنه يمكن أن يستعمل لغايات لا أخلاقية أصلاً تتمثل في جنس التعقيم القسري أو التصفية الجماعية أو التقنية النسلية، لأن رسم خارطة الجين البشري لا بد أن يصاحبه إطار بيوتقي يحدد ملامحها الأخلاقية، وإن كان كما يبدو أن موقف هابرماس مازال يدور في الإرث النقدي عبر التحذير من هيمنة الدولة الليبرالية على تحديد النسل والتلاعب به، وهذا جزء من المثنى العقائدي للبييرالية التي تعمل بمبدأ تكافؤ الفرص من أجل تكييف حياتهم بشكل مستقل.

3.3. الأخلاق العملية أو التطبيقية

حاول الفلاسفة من خلالها أن يجيبوا عن كثير من التساؤلات التي تثيرها بعض العلوم مثل الفيزياء، البيولوجيا، الكيمياء (التقنية)، فهو علم "لا يحل فقط وإنما يسعى لإيجاد حلول لمواقف عملية، أي أنه ينحو نحو التطبيق دون الاكتفاء بعملية التنظير، وبذلك يقال نزلت الفلسفة إلى أرض الواقع وأصبح لها دور إيجابي بحيث أصبحت تساعد بشكل عملي في بناء المجتمع، ولأجل هذا كله بدأ الإحساس بحاجة المجتمع إلى الفلاسفة في مجال الطب والبيولوجيا الطبية وازداد ذلك خاصة منذ سنة 1960م كما رأينا سابقاً.

وإن كان مع ذلك أن الكثير من النقاد سواء المتعاطفون أو المعارضون لهذا المجال وسواء من داخل الفلسفة أو من خارجها يتدبرون من أن الأخلاق التطبيقية لا تساعد في حل المشكلات اليومية، "إذ يدعي بعض النقاد أن النظرية الأخلاقية لا يمكن تطبيقها والاهتمام بحل المشكلات العملية يجب أن يتم بدون نظرية أخلاقية" (R,M, J.P, (1986), p249)، ولكن ولأن الأخلاقيات هي مجموعة القيم التي يجب أن تسود سلوكيات البشر وعلاقاتهم، لذلك "تناقش اليوم داخل جميع القضايا صيحة فلسفية علمية، التي تشكل قواعد جديدة لتوجيه الممارسة داخل مختلف الميادين العلمية والعملية في المجتمعات المعاصرة، وهي قواعد أخلاقية تسمح بالانتقال من الأخلاقيات إلى قوانين" (كيجل، 2016)، ولهذا تعد الأخلاقيات التطبيقية اليوم فلسفة جديدة تنبئ لإيجاد الحلول الممكنة للمشكلات التي تطرحها العلوم في الوقت الراهن، وربط المعالجة تلك بمنظومة القيم الإنسانية والأخلاقية بشكل عام والسؤال المطروح خاصة حول شرعية الحديث عن القيم على صعيد التفكير العلمي.

في مجتمعات معينة إلى مجرد أرقام وإحصائيات يتعامل معها الطبيب على هذا الأساس... إلخ، لذلك كان على الفلاسفة أن يجيبوا على تلك الإشكالات والانشغالات، فظهرت "البيوتيقا" والتي هي إذن "دراسة تداخل جملة من الشروط التي تقتضيها الإدارة المسؤولية للحياة الإنسانية في إطار صفوف التقدم السريعة والمعقدة للمعرفة وللتقانات الحيوية الطبية" (روس، 2001، ص11)، إنه فكر أخلاقي جديد جاء لتجديد مبحث أو فرع أساسي من فروع الفلسفة وهو مبحث القيم، فهو علم يربط بين علوم الحياة والقيم الإنسانية، وبذلك تطور مبحث القيم كاستجابة للتحويلات العميقة التي أحدثتها الحداثة الزائدة بكل أشكالها المعرفية والاجتماعية والسياسية والتقنية، ومن ثم كان للفلاسفة دور كبير في نشأة البيوتيقا وتطورها وفي إضفاء الطابع العلماني عليها وبالتالي فصلها عن الأخلاق الطبية الكلاسيكية التي كانت غارقة في اللاهوت المسيحي.

أما عن موضوعات البيوتيقا فبحسب تقسيم الباحث الكندي "غي ديوران" Guy Durand فقد جاءت على ثلاثة أقسام: القسم الأول: يبحث في موضوع الإجهاض، التجارة في البشر، التشخيص المبكر قبل الرحيم للحماثل، الإخصاب الصناعي، البنوك المنوية، أطفال الأنابيب، الأمهات البديلة، الاستنساخ، السجلات الوراثية، تعقيم المعاقين، زراعة الأعضاء، أبحاث الجينوم (عبد زيد الوائلي، 2019)، القسم الثاني: يبحث حول منع الحمل ووسائله، وحول الأسلحة البيولوجية والكيميائية والتعذيب، والأحكام بالإعدام، القسم الثالث: أخذ الطابع الأخلاقي أكثر من الطابع العلمي، خاصة في تصور الصحة والمرض، وعلاقة الأخلاقيات بالقانون وحقوق الإنسان، وعلاقة الأخلاقيات بالتكنولوجيا (عطية، 2013)، ص138، وتلتها في الحقيقة تخصصات أخرى كثيرة مثل: الأخلاق الأكاديمية، الأخلاق في مجال طب الأسنان، والأخلاق في مجال الزراعة... إلخ.

ومن الأسئلة التي أصبح يطرحها الجميع مثلاً بين الهندسة الوراثية والمعلومات: ما هو السبيل القويم إلى الجمع بين ما هو ممكن في المجال البيولوجي وما هو مقبول من المجال الأخلاقي؟، وما هي طبيعة العلاقة المرجوة بين المعرفة والمصلحة؟، ولذلك يشير هابرماس Habermas (1929م) في مقدمته كتابه "مستقبل الطبيعة البشرية نحو نسالة ليبرالية" إلى التساؤل "ربما ما يجب على الإنسان عمله كي لا يفسد حياته، يطرح ذلك كخلفية تتناقض مع سؤال متأخر، وهو سؤال يطرح لدى الجدل الذي تثيره التقنية الوراثية: هل يحق للفلسفة أن تدافع عن التحفظ نفسه تجاه المسألة المطروحة في أخلاقيات النوع الإنساني أم الجنس البشري؟ (هابرماس، 2010)، ص7، فيجيب هابرماس ويناقش الأمر من زاوية فلسفية أخلاقية لا من زاوية دينية فيقول "وقد دافعت عن فكرة ترى أن على الفكر ما بعد الميتافيزيقي أن يفرض تحفظاً حين يقوم باتخاذ مواقف لها سمة الالتزام تجاه مسائل جوهرية تتعلق ب"الحياة الصالحة" (هابرماس، 2010)، ص34، وهو هنا ينظر إلى التدخل في التعديل الجيني وبين الحرية لدى الفرد الذي يفقدها

مثل غزو الفضاء واحتمال الاستيطان في كواكب أخرى وغيرها من الميادين العلمية المرتبطة بالمستقبل... التي تحتاج إلى تقنين وتنظيم، لذلك فإن الاهتمام بتلك المشكلات المتجددة وخاصة بالنسبة إلى فلاسفة الأخلاق أصبح واجب أساسي حيث تستطيع الفلسفة أن تثبت فيه أن لها دورا هاما في عصر التقدم العلمي والتكنولوجي لا يقل عن الدور الذي لعبته في عصور سابقة لا سيما بعد أن اعتقد الناس أنها ستختفي في هذا العصر ولن تعود هناك حاجة إليها، وكذلك أيضا بعد أن اتضح "أن أي مفهوم من المفاهيم اليوم أصعب من أن نبقيه كما هو، إذ لا بد أن نضع في اعتبارنا أن مثل هذه المفاهيم والأحكام الأخلاقية يجب أن تكون من المرونة بحيث لا نرفض التطور بسببها، وأن تكون قابلة للتغير بحسب الظروف التي يمكن أن تستجد في المجتمع وفي كشف العلم والتكنولوجيا" (البقصي (1993)، ص120) إلخ من المجالات.

3.4. القضايا المعرفية

وفي الحقيقة لا تثير مخاطر التقنية القضايا الأخلاقية فحسب وإن كان يبدو أنه معظم الاعتراضات عن التكنولوجيا هي اعتراضات أخلاقية، ولكنه في الحقيقة تثير أيضا قضايا فلسفية أخرى كالقضايا المعرفية والمتعلقة بنظرية اتخاذ القرار، فمن جهة أخرى فمن الواضح أن تأسيس مثل هذه المجالات الجديدة في التفكير الأخلاقي هو استجابة للتطورات الاجتماعية والتقنية، ومع ذلك هناك تساؤل مطروح عما إذا كان تأسيس مجالات جديدة للأخلاقيات التطبيقية هو الإجراء الأفضل لتلبية الطلب الاجتماعي أم لا؟، ولقد نوقشت هذه المسألة أيضا بانتظام مع ظهور أي مجال جديد، فقد جادل العديد من المؤلفين على سبيل المثال بأنه لا توجد حاجة لأخلاقيات النانو لأن تقنية النانو لا تثير أي قضايا أخلاقية حديثة فعليا مثلما أكد مكجين (2010)، (Mcgin (2010)، وحجته في ذلك أن القضايا الأخلاقية التي تثيرها تقنية النانو ما هي إلا اختلاف أو تكثيف للقضايا الأخلاقية القائمة وبالتالي فإن هذه القضايا يمكن التعامل معها من خلال النظريات والمفاهيم الموجودة في فلسفة الأخلاق أصلا.

وكذلك طرحت مثلا مسألة أنه إذا كان غالبا ما توصف المجالات الجديدة في التفكير الأخلاقي على أنها أخلاقيات تطبيقية أي كتطبيقات للنظريات والمعايير المعيارية والمفاهيم والأساليب المتطورة في فلسفة الأخلاق، ومع ذلك بالنسبة لكل عنصر من هذه العناصر لا يكون التطبيق عادة واضحا ولكنه يتطلب مزيداً من التوصيف أو المراجعة، وهذا هو الحال لأن المعايير والمفاهيم والأساليب الأخلاقية العامة غالبا ما تكون غير محددة بما يكفي لتكون قابلة للتطبيق بأي معنى مباشر على مشاكل أخلاقية محددة، لذلك غالبا ما يؤدي التطبيق إلى رؤى جديدة قد تؤدي إلى إعادة صياغة أو على الأقل تحسين المعايير المعيارية والمفاهيم والأساليب، وفي بعض الحالات قد تتطلب القضايا الأخلاقية في مجال معين معايير أو مفاهيم أو

إذن لقد أثارت تكنولوجيا البيولوجيا الطبية أو غيرها من التكنولوجيات مجموعة من الأسئلة الأخلاقية، وهي من الأهمية بحيث يتوقف على إجابتها الأحكام الأخلاقية والدينية والقانونية المرتبطة بموضوعات مثل التي رأيناها سابقا، فالمسألة لم تعد مقتصرة على رجال الدين بل دخلت مجال القانون والتشريع وأروقة البرلمانات ومكاتب السياسيين الذين وجدوا أنفسهم أمام معضلة أخلاقية فلسفية فغدت تحتاج للإجابة عنها للتحليل الفلسفي، مما دفع الفلاسفة الآن إلى محاولة الإجابة وإيجاد الحلول لتلك المعضلات التي تطرحها تلك القضايا، ومن ذلك تبلور مفهوم حقوق المرضى والأجنة وكذا الأشخاص الذين تجرى عليهم التجارب فضلا عن حقوق الأجيال الإنسانية القادمة وعلى رأسها حق الحفاظ على هويتها وتنوعها، وهذا الحق الذي يتعرض حاليا للانتهاك وخاصة في إطار التصرف في الجينات الحاصل في مجال الهندسة الوراثية وما يصاحب ذلك من تخطيط للقيام بمحاولة استنساخ الإنسان إلى غير مما ذكرناه سابقا، وبذلك تغيرت فلسفة الأخلاق أو الإتيقا من مجالها القيمي المجرد إلى المجال الفطن التطبيقي الذي كان له عدة عوامل ساهمت في تقدمه أهمها ما طالبت به اللجان الأخلاقية ورؤى الفلاسفة المعاصرين لضبط تمادي العلماء الحاضر في ظل تطور العلم، فهم أدركوا مخلفات التكنولوجيا بأخطارها المميتة على المحيط الإيكولوجي ومستقبل الكائن الحي، فمجال ممارسات الأخلاق التكنولوجية ضمن فرع البيوتقي مثلا وجدت حتى تحمي حقوق المستقبل (الإنسان، البيئة) وعلى المدى الطويل، وجلها عوامل أخرجت الفلسفة من دائرة النقاش المعتادة إلى الممارسات التطبيقية بالتغيير الجذري للمصطلحات الفلسفية السائدة من بينها الأخلاق.

لقد طرحت أسئلة كثيرة ترتبط بموقف الإنسان الأخلاقي من مفاهيم مثل الضمير والمسؤولية، والوجود الإنساني، وقدسية الحياة وكرامة الإنسان... وغيرها، فضلا عن أنها تجعل الإنسان مجرد ظاهرة كونية كغيره من الظواهر، أو مجرد مجموعة من العناصر الكيميائية ولكن ما موقف الفلسفة من ذلك كله؟، وذلك بهدف تحسين الطرف الأخلاقي الإيكولوجي العلمي لإعطاء كل ميدان حقه وممارسته المطلوبة على الوجه الصحيح عن طريق اتباع القوانين الأخلاقية الجديدة، فلا ينبغي التفكير بأنانية في حاضرننا بل يستدعي التفكير بشكل يليق بالطبيعة الإنسانية ومستقبلها البيئي فواجبنا التقيد بجملة الأخلاقيات الجديدة المؤكدة عليها في كل المجالات، وهذه النقطة سببها تعدد المجالات في استعمال المصطلح فالיום أصبح البيو في الطب والاقتصاد والسياسة والبيئة... إلخ أي في كل ما له علاقة بالإنسان وغيره من الموجودات وانعكاساتها على المستقبل البيئي تحديدا، وبالتالي البحث عن قدسية الحياة البشرية في ضوء التطورات البيولوجية الحديثة والممارسات الطبية في مجال تكنولوجيا الطب.

وهناك أيضا إلى جانب ميدان تكنولوجيا الإخصاب أو البيولوجيا الطبية التي تحتاج إلى التفكير المستقبلي ظهرت ميادين أخرى

المهتمين بمجال التكنولوجيا تسميته جديدة هي " فلاسفة التكنولوجيا" (دون (2006)، ص10) وهي تسمية تشبه تسميات (السياسيين أو الإجماعيين... وغيرهم، وأصبح الفيلسوف يولي اهتماما خاصا لمشكلة الوجود البشري في عالم التقنية والمعلومات.

وإذا كان الفلاسفة سابقا كانوا أيضا ولطالما اهتموا بالتركيز على تأثيرات التكنولوجيا الكارثية على الحياة الحديثة أو تاريخ التكنولوجيا "إذ نزعوا إلى معالجة التكنولوجيا باعتبارها ظاهرة شاملة ميتافيزيقية في الغالب ونزع أغلبهم خاصة في أوروبا إلى تقديرات فاجعة فرأى غالبيتهم التكنولوجيا بمثابة خطر يهدد الأشكال الثقافية التقليدية الأقدم عهدا" (أولسن (2018)، ص9) أمثال هيجل، ماركس، إرنست كاب، هيدجر... وآخرون كثر ولكن تلك الدراسات كما يبين المهتمين بالمجال أنها "فشلت تلك الحركات الصاخبة المؤيدة والمناهضة للتكنولوجيا في إلقاء الضوء على طبيعة التكنولوجيا" (Ihde (1991)p3)، ولذلك وفي الحاضر ومع الفلاسفة الجدد أو كما يسميهم دون إد "فلاسفة التكنولوجيا الموجة الرابعة" الذين سيجعلون التكنولوجيا الموضوع الأساسي لفلسفتهم ويهتمون بطبيعة التكنولوجيا في حد ذاتها ومن هؤلاء:

دون إد Don Ihde الذي ولد عام 1934 وهو فيلسوف أمريكي للعلوم والتكنولوجيا: وهو واحد من الفلاسفة المعاصرين الذين يساهمون بتأسيس فلسفة مهتمة بالتكنولوجيا، فلسفته تدور حول التكنولوجيا في تطورها وعلاقتها المتداخلة بالثقافة والعلم والبيئة والإنسان وما ينتج عنها من تطورات تؤثر في حياة الفرد، ولذلك تأتي الأسئلة المركزية في فلسفته على النحو التالي: من هؤلاء الذين يهتمون بالدور الذي تلعبه التكنولوجيا في التجربة البشرية؟ وكيف تؤثر المنتجات التكنولوجية على وجود الناس وعلاقتهم بالعالم؟ وكيف تنتج الأدوات التكنولوجية المعرفة البشرية وتحولها؟... إلخ، ومن ذلك يحاول تقديم منظور جديد للتكنولوجيا من خلال منظور جديد للفلسفة، منظور يربط الاقترب من التقنيات وللتكنولوجيا.

كتب دون إد عدة كتب في فلسفة التكنولوجيا والظواهر وعلم التكنولوجيا والثقافة من منظور ظاهري-هيرمينوطيقي فاهتماماته البحثية هي فلسفة العلوم والتكنولوجيا، علم اجتماع العلوم والتكنولوجيا، التطور التاريخي للتصوير في العلوم والمهن الأخرى، كما ويستخدم المنهج التاريخي في عرض قصة الفلسفة وتطورها وعلاقتها بالعلم والتكنولوجيا، ومرجعياته تستند إلى هوسرل ومركز وميرلوبنتي وهايدغر وغيرهم، درس الفلسفة في جامعة كانساس وعلم اللاهوت University of Kansas and theology في مدرسة أندوفر نيوتن اللاهوتية Newton Theological School مع عالم اللاهوت المعروف بول تيليش Paul Tillich، عمل في جامعة بوسطن وجامعة جنوب إلينوي لعدة سنوات، ومنذ عام

أساليب جديدة مثلما فعل بوشامب وتشيلدرس Beauchamp T. Childress J في عملهما المؤثر "مبادئ أخلاقيات الطب الحيوي" 1979 حيث اقترحا عدداً من المبادئ الأخلاقية العامة لأخلاقيات الطب الحيوي، وهي (مبدأ الاستقلال الذاتي، فقيمة سيّد الفرد على قرارات حياته خياراته، -مبدأ الخيرية (قيمة تحسين حياة الآخرين)، -مبدأ دفع الضرر (قيمة تجنب تعريض الآخرين للضرر)، -مبدأ العدالة (قيمة أن يعطي كل ذي حق حقه) (Beauchamp Tom L. and, (2019)، فهذه المبادئ أكثر تحديداً من المعايير المعيارية العامة، ولكنها لا تزال عامة ومجردة لدرجة أنها تنطبق على قضايا مختلفة في أخلاقيات الطب الحيوي، وفي أخلاقيات الحاسب الآلي أيضا أعيد تعريف المفاهيم الأخلاقية الحالية المتعلقة على سبيل المثال بالخصوصية والملكية وتكييفها للتعامل مع المشكلات النموذجية لعصر الحاسب الآلي كما أكد (جونسون 2003 (Turmer Johnson (Johnson, G.D, (2005)... إلخ، ويشير كل ذلك إلى أن الكثير من التقنيات تطرح قضايا فلسفية وأخلاقية الخاصة بها، ولكن عند البعض وحتى وإن كان ذلك صحيحاً فإن ذلك لا يبرر تطوير حقول فرعية منفصلة أو حتى تخصصات فرعية عن الفلسفة الأخلاقية.

ولكن يبقى من جهة أخرى إذا كان طالما كان هناك اعتقاد شائع بأن الفلسفة تقتصر في دراستها على معالجة المشكلات الميتافيزيقية... وفي المراحل الحديثة اعتقد البعض أن مهمتها تقتصر على التحليل اللغوي وهذا معناه عدم الاهتمام بوضع نظريات أخلاقية ذات طابع تطبيقي، مثلما سعى مثلاً الفلاسفة التحليليون إلى حصر مجال الأخلاق في مجال ضيق أطلقوا عليه (ما بعد الأخلاق Meta-ethics) حيث لم تعد مهمة الفلاسفة معهم هي تنظيم معتقداتنا الأخلاقية في داخل إطار نظريات شاملة وإنما التركيز على تحليل الألفاظ ومعرفة ما إذا كانت مطابقة للواقع، مؤكدين على الفلاسفة أن يكفوا عن التدخل فيما لا يعنيهم، ولكن الأمر اختلف الآن خاصة بعد عام 1960 حين وجه المجتمع الغربي انتباهه إلى المشكلات الأخلاقية التي برزت في مجال الطب خاصة كما رأينا ثم تلتها في المجالات الأخرى.

4. فيلسوف التكنولوجيا واليومي (دون إد نموذجاً)

إذن وكما انتهينا في السابق أنه وحتى أوائل القرن العشرين كان الاهتمام الأساسي للفلاسفة لا يزال منحصراً في القضايا التجريدية وتحليل العبارات وتعريفها، بحيث إنهم فقدوا الاتصال بالموضوعات العينية والواقعية التي تبرز من الممارسات العملية في كل المجالات، ولكن في الحاضر ومع التقدم التكنولوجي أجبرتهم حاجة المجتمع على إيجاد حلول لمشكلاته وعلى الالتفات إلى الحياة مرة أخرى وخاصة تلك التي تطرحها التكنولوجيا، فأصبح يحتك بالواقع ويستقي منه الأسس التي عليه أن يجد من خلالها حلولاً للمشكلات العملية التي تواجهه وتواجه المجتمع، وهذه الالتفاتة اعطت للفلاسفة

ذلك الجزء من الواقع الذي يمكن رؤيته من خلال النافذة، لذلك لا تلعب التكنولوجيا دوراً محايداً في ملاحظتنا فيمكن للتكنولوجيا حسب قوله تعزيز ملاحظتنا للواقع، وعلى سبيل المثال تم تعزيز إدراكنا لطبيعية الأرض عندما تمكن رواد الفضاء من التقاط صور للأرض يمكن رؤيتها على أنها كرة ملونة جميلة في بيئة مظلمة شاسعة، ولذلك تلعب التكنولوجيا دائماً دورها الوسيط في سياق ثقافي مما يساعد أيضاً في تحديد طريقة عملها، كما يوضح إد أمور أخرى بالإشارة إلى مثال حول الملاحظة عند التنقل لقد أوضح أن الأدوات التي استخدمها كولومبوس كانت عديمة الفائدة لسكان الجزر التي اكتشفها لأن هذه الأدوات لم تكن في سياقهم الثقافي، وكما يوضح أيضاً في هذا الكتاب الاستكشاف الأصلي للطرق التي يؤثر بها الفضاء الإلكتروني على التجربة البشرية، فالكتاب مفيد لأولئك الذين يستكشفون دور الأجسام في الواقع الافتراضي، الكتاب هو دراسة التجسيد في الفضاء السيبراني، وهو كتاب مثالي يتعلق أيضاً بالتفاعل بين الإنسان والحاسوب، يستكشف معنى الهيات في التكنولوجيا، وكيف يتأثر الإحساس بأجسادنا وتوجهنا في العالم بأشكال مختلفة من تقنيات المعلومات، ولذلك يعتبر بحث مهما للعلماء الإنسانيين لأنه يثير نهجا جديدا لدراسة كيفية استخدام ودمج أجهزة الكمبيوتر والتقنيات للإنسانية، سعى فيه إد للكشف عن البحث في كيفية استخدام مفاهيم الهوية المادية والرقمية والافتراضية والجزئية والسيبرانية من قبل المواطن، وطبيعة تأثير ذلك في تشكيل المجتمع الإلكتروني، وكيف يجب تحديدها من أجل احترام الحقوق الأساسية للمواطن، ويظهر إد أمثلة أخرى مأخوذة من أدوات على الطرق التي يتم بها تضمين التجسيد البشري بشكل انعكاسي في الأجهزة، كما يركز على دور التصور والتصوير المقطعي والعمليات الأخرى.

كما نجده في كتابه "مدخل إلى فلسفة التكنولوجيا" يقدم أفكاره حول الدور الذي تلعبه التكنولوجيا في حياة الإنسان ويتساءل عن السبب وراء إهمال تاريخ التكنولوجيا رغم أن وجودها سابق لكل من وجود الفلسفة والعلم، ويشير إد إلى أن الصمت فيما يتعلق بالتكنولوجيا يأتي من داخل الفلسفة نفسها، ويلفت الانتباه إلى أن التكنولوجيا الحديثة لم تعد ظاهرة للعيان، فنحن نشعر مثلاً بالتدفئة المركزية ولكننا لا نغير اهتماماً لطريقة عملها، ولا نراها وهي تعمل، ولا نقمّ ضررها على البيئة، لكنها حتماً تغير في الخبرة الإنسانية، والعلاقات الاجتماعية، والنشاطات الشعورية واللاشعورية بوصفها علاقات بنائية عبر ثقافية، أي أنّ لها بنية ثقافية محددة يتشارك بها مجموعة من البشر مع غيرهم من الحضارات، كما يؤكد أن الفلسفة "إنها تفكير نقدي يمكن أن يكون على علاقة بكل هذه الجوانب من الاختصاص" (إد 2006، ص: 5).

وفي نظره لقد أصبحت التكنولوجيا في الحاضر هي الموضوع الأساسي للفلسفة وذلك لهذه العلاقة التي أصبحت عليها التكنولوجيا والإنسان والتي تظهر على عدة مستويات أهمها: من

1969 أصبح أستاذاً متميزاً للفلسفة في جامعة ولاية نيويورك (Sunny Stony Brook)، وهو رئيس تحرير سلسلة مهمة من الكتب: سلسلة إنديانا في فلسفة التكنولوجيا، ويعتبر أحد عمداء فلسفة التكنولوجيا الحالية (Jan, Maarten, Jan, van (2015), p3).

له ما يقرب من الإثنتا عشر كتاباً وهو لا يزال نشط جداً في هذا المجال، ففي عام 1979 كتب ما يعرف غالباً بأنه أول عمل أمريكي شمالي عن "فلسفة التكنولوجيا التقنيات والتطبيق العملي" "Technics and Praxis: A Philosophy of Technology"، والذي أظهر فيه توجهه الفلسفي تجاه هايدجر وهوسرل، ثم أتبعه بكتابه "التقنية والعمل" عام 1979، وكذلك كتابه "التقنيات الوجودية" Existential Technics عام 1983، ونشر كتابه "التكنولوجيا وعالم الحياة" Technics and the Lifeworld: From Garden to Earth في عام 1990 حيث وضع أفكاره لأول مرة حول دور التكنولوجيا في ملاحظتنا للواقع بالإشارة إلى الأمثلة التجريبية، ويشكل الكتاب "تحوله التجريبي" الذي نجده في العديد من فلاسفة التكنولوجيا الحاليين (Jan, Jan van (2015), p3)، وفيه يبدأ يستكشف بعض أهم القضايا المتعلقة بدور التكنولوجيا في الحياة اليومية في العالم المعاصر المتعدد الثقافات، ثم يقدم ثلاثة برامج لفهم تنوع المشاركة البشرية مع التقنيات، بمقارنة الحياة في "حديقة" متخيلة غير تقنية مع خبرتنا في العالم الذي يتم فيه التوسط التكنولوجي، بالاعتماد على تقاليد الظواهر والفلسفة التأويلية، ويحلل البرنامج الأول تنوع العلاقات بين الإنسان والتكنولوجيا ويوضح عدم حيادية التكنولوجيا، أما البرنامج الثاني يتناول موضوع التكنولوجيا كأداة ثقافية، ويحلل البرنامج الثالث: عالم الحياة وأشكال تعدد الثقافات (Arun Kumar 2004)، ولذلك يراه البعض ربما يكون أفضل مجلد يربط التقليد الفلسفي بالقضايا العريضة التي تثيرها التقنيات المعاصرة.

وله أيضاً: "المدخل إلى فلسفة التكنولوجيا - Philosophy of Technology: An Introduction 1998" والواقعية "الأداتية"، والبنائية بين الفلسفة والعلم والفلسفة والتكنولوجيا... وغيرها.

وبذلك في عام 1991 ظهرت الواقعية الآلية والتي تعتبر إلى حد ما فلسفة العلوم المناظرة لفلسفة التكنولوجيا الموجهة نحو التكنولوجيا وعالم الحياة، وفي عام 2002 نشر إد كتابه "هيات في التكنولوجيا" Bodies in Technology، حيث يرى أن هذه الأدوات العملية تلعب دوراً وسيطاً في الملاحظات، فبالنسبة له التكنولوجيا على وجه الخصوص تعني الحد من تجربتنا في الواقع، فبدلاً من الواقع الكامل والرائع يؤكد أن التكنولوجيا تعطينا نسخة مؤطره من الواقع هذا ما يحدث حرفياً عندما ننظر من خلال إطار النافذة، ثم نرى فقط

موت العسكريين، فني نهاية الحرب العالمية الثانية، حيث استخدمت القنابل الحارقة والقنابل الذرية، وهي لا تميز بأي نحو بين الأهداف المدنية والعسكرية" (إد (2006)، ص23).

إذن لقد نشأ اهتمام إد بفلسفة التكنولوجيا بشكل خاص من خلال عمله ودراسة دور الأدوات العلمية، وتتطور اهتماماته حول فلسفة العلوم والتكنولوجيا، ويركز على العلوم التاريخية والمعاصرة، ويوضح كيف أنه منذ منتصف القرن العشرين فقط كانت هناك ثورة علمية مهمة، وهو يذكر كيف أصبح موضوع التكنولوجيا عند الفلاسفة منهم هو "أنهم اتخذوا انعطافة إمبريقية أو ميلا إلى الدراسات التحليلية للتكنولوجيا العيانة، إذ يتعين على الإنجازات التكنولوجية أن تعبر عن نفسها" (أولسن وآخرون (2018)، ص13)، ولذلك أصبحت معه الفلسفة كما يقول "تفكير في وعي وبواسطة التكنولوجيات" (أولسن وآخرون (2018)، ص مقدمة)، لذلك يؤكد على الفلسفة اليوم أن تكون كوكبيا بمعنى الإهتمام ببيئة الأرض، وثانياً: اكتشاف وسائل ما بعد التنوير لتأمين أشكال التداخل الثقافي، والتداخل السياسي والتداخل الاجتماعي، وأهم هذه الوسائل التسامح والتعددية الثقافية، كما يتطلب الإهتمام الثاني نوعاً جديداً من اتفاقيات التداخل والتفاعل الثقافي، عليها أن تحاصر جملة سلبات الأشكال الدينية والثقافية التي توصف اليوم بالصراعات الكوكبية.

لينتهي بذلك "بالنسبة للدور الذي ينبغي أن تؤديه الفلسفة (الفلاسفة) بالنسبة إلى التطور التكنولوجي يمكن تبنيه في مسألتين: الأخلاق الطبية والذكاء الاصطناعي" (إد (2006)، ص24)، فإد يرى في النهاية أن العلم والفلسفة في علاقة ترابط بالتكنولوجيا والعمل ويرى ضرورة إعادة تفسير الكثير من العلم الحديث في ضوء تكنولوجياته ويؤكد على تنوع التكنولوجيا الإنسانية ويرى أن الثابت في أساليب الخبرة الإنسانية هو تكنولوجياتها فالعلاقات المتضمنة استخدام التكنولوجيات تزيد وتحوّل بشكل ليس حيادياً جملة خبراتنا الشعورية عن البيئة والعالم.

يحاول الفلاسفة إذن اليوم تحليل القضايا الاجتماعية والأخلاقية والمعرفية التي تثيرها العديد من التقنيات المتطورة وطبيعة التقنيات نفسها، وتكتفها بربطها بالواقع الحالي والمستقبلي للعلم وقدراته التكنولوجية وعن المشاكل الحقيقية التي يطرحها التقدم التقني، فهدف فلسفة اليوم ليس رفض العلم بل توضيح أهميته كعامل أساسي في تغيير حياة الإنسان، وإذا كان البعض يرى أنه ليس من مهمة الفلسفة التوصل إلى حلّ المشكلات الأخلاقية التي تثيرها هذه التطورات فهو أمر لم تدعيه الفلسفة من قبل ولن تفعل ذلك الآن، وإنما الهدف هو التنبيه إلى خطورة هذه التطورات وأهميتها لما لها من قدرة على تغيير نظام القيم وبالتالي قلب موازين حياة الإنسان رأساً على عقب، وكفيينا من الفلسفة أنها دائماً كانت قادرة على لفت انتباهنا لما يحدث حولنا، وهذا يؤكد أهمية دورها

خلال البيئة: حيث تسمح التكنولوجيا بتعديل البيئة وتكييفها وهذا التعديل ليس محايداً أو معتدلاً إنه قوة تحوّل وترقى للبشر بواسطة التكنولوجيا، فالبشر في استخدامهم لأبسط التكنولوجيات أحدثوا تعديلات بالنسبة للبيئة والنتائج قد تكون جيدة أو سيئة اعتماداً على استخدام الإنسان للتكنولوجيا ويؤكد "أن التكنولوجيا مرتبطة دائماً بالبشر فتصور الإنسان زائد التكنولوجيا لا يعتمد على مجرد الاستخدام، وإنما يعتمد على القدرات المدخلة فيها بوصفها مرتبطة بالإمكانات المعقدة المفتوحة لإشراك الإنسان" (إد (2006)، ص8)، كما يؤكد مرة أخرى "عدم حياد التكنولوجيا" وهو أمر يرجع إلى استخدام الإنسان للتكنولوجيا، فقد يكون الاستخدام استخداماً نافعا أو ضاراً، خيراً أو شراً، فمن أجل سلامة العالم والبيئة والحفاظ على البشرية، يكون استعمال التكنولوجيا الرفيعة والتحكم فيها مركزياً.

فإد يرى أن فلسفة التكنولوجيا في هذا الطور الأخير منها تهتم أكثر بالمستقبلات "فلاسفة الجيل الثالث في فلسفة التكنولوجيا ينشغلون ليس بالمشكلات المعاصرة فحسب، ولكن يهتمون أيضاً بالمشكلات التي قد تنشأ في المستقبل، فالمستقبلات ضمن مباحث فلسفة التكنولوجيا وفيها يذكر إد مشاكل البيئة، والتعددية الثقافية والحروب والثورة والفلسفة والتطور، ومن أهم القضايا المستقبلية القضايا البيئية أو القضايا الكوكبية، وهي بحاجة إلى الإهتمام الثقافي والسياسي والاجتماعي لتصبح مشكلة في الصدارة في بداية القرن الواحد والعشرين" (إد (2006)، ص21)، وحيث مع بداية الكوارث تتزايد إثر استخدام التكنولوجيا بدأ وجود وعي عام بأن البيئة قضية هامة، أما عن قضية "تزايد ظاهرة التعددية الثقافية، حيث للتعددية الثقافية وجوه كثيرة ولكنها تتمحور في التداخل الثقافي والفكري والديني، والأحاسيس الجمالية عند الناس، ويرى أن التكنولوجيات وبخاصة تكنولوجيات الصورة أحييت الوعي العالمي وهو وعي بالآخرين، إنه وعي بالتعددية نتج بفعل ظاهرة التداخل الثقافي المرتبطة بتكنولوجيا الاتصالات" (إد (2006)، ص22)، كما يلاحظ "أن أهمية ظاهرة التداخل الثقافي أو الوعي بالآخرين لها أهميتها بالنسبة لمستقبل الحضارة التكنولوجية ولكنها لم تحز بعد على الإهتمام والتقدير الكامل، وعلينا أن نلاحظ أن فترات الإبداع التكنولوجي تاريخياً - كما يقول - تتوافق غالباً مع فترات التعددية الثقافية" (إد (2006)، ص22)، وأما عن الحروب والثورة فيقول: "أن التطور التكنولوجي في العالم تطور عسكرياً، والتكنولوجيات العسكرية لها تاريخ طويل، فإن أخذنا الحرب العالمية الثانية كنقطة تحول، يمكن للفرد أن يرى الكثير من المتغيرات في العقود الخمسة منذ تلك الحرب، ولو قارنا بين القنابل المنفصلة في الحرب العالمية الثانية، والقنابل الذكية في حرب الخليج، نجد أن القنبلة الواحدة الذكية تفعل ما تفعله تسعة آلاف قنبلة من خمسين سنة ماضية، فضلاً عن الاختلاف في معدل موت المدنيين بالنسبة لمعدل

لحفاظ على طبيعته الإنسانية في مجالات أخرى كمجال الإبداع الفني؟، كيف نستطيع التغلب على الآثار السلبية التي تجلبها التقنيات؟،... إلخ من الأسئلة الكثيرة والمعقدة.

هكذا ولأن الفلسفة معرفة أولاً وقبل كل شيء ولكنها معرفة جامعة تحيط بكل نواحي الوجود الإنساني وهدفها الأساسي هو أن تكشف وسائل تحقيق المعنى، ولذلك استطاعت الفلسفة بما تملكه من قدرة نقدية وتحليلية أن تدخل في صميم الحياة العملية المعاصرة وتقدم يد المساعدة لفهم وحل الكثير من المشاكل العملية ولتعود مرة أخرى إلى إثبات وجودها وأهميتها كإحدى الدراسات الأساسية في مجال الإنسانيات، وليظهر بذلك مسار فلسفي جديد ارتسمت معالمه من خلال عملية التفاعل مع الواقع وليس بالتجرد منه، وبذلك تحول معنى الفلسفة "بما هي تفكر في علّة الوجود وتأمل في أسبابه، تبدلت هنا لتغدو محتبسة في السؤال عما يمكن أن يفتتحه العلم من آفاق معرفية ما زالت مغلقة، لكنها مأمولة" (نجدي، 2017، ص 327).

5. خاتمة

إن التكنولوجيا ورغم أنها تبدو أنها تتصف بالحياد من الناحية الأخلاقية فإن تأثيرها كبير على الحياة بكل أبعادها وعلى فكر الإنسان خاصة، فهي بقدر ما تخدم هذا الإنسان لحل مشاكله العملية وتقدم له قوة يمكن أن يسيطر بها على حياته وعلى الآخرين، وأصبح من الممكن التحكم فيه إلى درجة أثارت رعب الكثيرين، لقد ظهر في الأونة الأخيرة أن التطورات التكنولوجية المتقدمة في العقود الأخيرة التي تتعلق بالثورة المعلوماتية والاتصالات والثورة البيولوجية باعتبارها على وجه الخصوص لها انعكاسات فلسفية مباشرة على الإنسان والتي تعد أبعد أثراً واشد خطورة على الإنسان ومصيره من كل الثورات العلمية السابقة، وأن أكثر هذه المجالات خطورة هو "الهندسة الوراثية" التي تسمح بالتحكم في الجهاز الوراثي للإنسان وبالتالي في إمكانية برمجة الجنس البشري وفق تصميمات موضوعية سلفاً... ذلك لأن التكنولوجيا لم تقتصر في نتائجها على المجتمعات ككل وإنما بدأت تغزو حياة الإنسان العادي، ويحدث ذلك كله في جولا يزال يحمل أساليب تفكير وقيم تعتبر عتيقة بالنسبة للتطور التكنولوجي الهائل الذي تسير فيه الدول المتقدمة، مما أدى بالكثيرين من الخوف من وجود هذه القوى في محيط يسوده التوتر والإحساس بالرغبة في فرض السيطرة على الآخرين والذي يمكن أن يؤدي إلى دمار البشرية وفنائها لذلك ظهرت الحاجة الملحة إلى إعادة النظر في التكنولوجيا.

يدرك المجتمع العالمي اليوم أنه قد دخل عصراً جديداً وأن هذه الثورة التقنية خاصة الحديثة لابد أن يرافقها فهم لطبيعتها وفهم لعملية الإنتاج وأنماطها وكيفية تأطيرها لما ينجم منها خاصة من اغتراب الإنسان في عصر الآلة، ومدى تأثير التقنية الواسع في تطوير التعليم وتكريس الديمقراطية ومنظومة

في حياتنا سواء الفكرية أو العملية، ولكن ولأن البشرية اليوم لا تخاف من التكنولوجيا بحد ذاتها ولكن من خطأ قد يؤدي إلى هلاك الجميع أو من ظهور ميكروب يدخل المجتمع ويؤثر عليه تأثيراً بطيئاً وقد يظهر بعد سنوات عديدة (وقد ظهر عام 1920 (فيروس أميكرورن) وما يزال إلى الآن والذي يبدوا من الصعب القضاء عليه، وهذا ما يدركه المجتمع والعلماء والفلاسفة وكل من يهتم بالموضوع والمهتمون بمجال الأخلاق العملية، الذين لم يكتفوا بدراسة تأثير هذه التجارب على الإنسان بل أنهم ذهبوا إلى حد أخذ دور الرقيب على العلماء وعلى تجاربهم، ولذلك وجدت مؤسسات أمريكية مثل مؤسسة هاستنجز Hastings Institute ومؤسسة كندي للأخلاق البيولوجية The Kenndy Institute for Bioethics ومؤسسة أخرى إنجليزية مثل مجلس المجتمع والعلم the Council for Society & Science وكلها مؤسسات كانت مهمتها منذ الستينات من القرن العشرين بدراسة التطورات التي تحدث في هذا المجال وكتابة البحوث عنها، لقد كانت ولا تزال تقوم بدور الرقيب والوسيط بين المجتمع والعلماء إلى درجة أنه أصبح لها دور كبير وفعال في الجامعات والمنشآت العلمية.

لقد أثار تطور الحياة السريعة أسئلة أخلاقية متصلة بالاتفاق حول حدود تدخلات الإنسان في مواضيع حساسة مثل الموت الرحيم... وكل ما رأيناه سابقاً ولذلك يؤكد هابرماس "أن الفلسفة" هي التي تتناول وتهتم وصاحبة الرؤية في هذا المجال وذلك بمنهجها وتساؤلاتها التي بهما يمكنها أن تضع الطبيعة والبيئة موضع تساؤل لإيجاد حلول فانتقلت من الفلسفة التأملية إلى الفلسفة التطبيقية، لأن زمن الفلسفة التأملية التي تغوص في قضايا الميتافيزيقية قد ولى...، ولكن لا يمنع بأنها صاحبة رؤية أكيدة، فلم يعد دور الفلسفة الادعاء بالتأسيس النهائي للحقيقة لأن "المجتمع الحديث لا يعتمد على التقدم التكنولوجي فحسب ولكن يعتمد كذلك على القدرة النقدية القائمة على التساؤل حول التقاليد، فهي تحاول اليوم أن تساعد الإنسان على أن يجد إجابة عن تساؤلاته وتحاول أن تثير انتباه الإنسان لخطورة الموقف وللبحث عن حلول جديدة في المستقبل «الفلسفة وفي إطار دورها التأويلي يمكنها أن تتوجه نحو العالم المعيش وأن تحين علاقتها مع الكلية وهذا ما سيجعلها تساهم في تحريك الآلية الثابتة المرتبطة بالأدائية المعرفية والممارسة الأخلاقية والتعبيرية والجمالية" (Habermas 1986) (p39)، إنها تسعى جاهدة الارتباط بشكل وثيق بالأنشطة البشرية في التقنيات والتكنولوجيا ما يتيح للإنسان البحث عن إجابات لأصعب الأسئلة المتعلقة بوجوده لا سيما تلك المتعلقة بمعقولة ومشروعية نشاطه التحويلي المتمثل في التقنيات المختلفة أهمها: - طبيعة التقنية؟ - كيف تؤثر التقنية على الشخصية الإنسانية؟ - ولم تحولت التقنية إلى قوة مسيطرة على الإنسان؟، هل الإنسان محكوم عليه بالخضوع للانعكاسات السلبية الناجمة عن التطور التقني أم إنه سيجد نفسه ملاذاً

بقوة أكبر بما هي سعي إلى الاطمئنان والأمان اللذين وسما هواجس جيل الإنترنت والتكنولوجيا الرقمية في عصر ازدادت فيه النعمة والحسرة بسبب مفاعيل التطور التقني، لذلك حوّلت الفلسفة وجهة اهتماماتها بما هي تفكير في علّة الوجود وتأمّل اسبابه إلى السؤال عما يمكن أن يفتتحة العلم من آفاق معرفية ما زالت مغلفة لكنها مأمولة، لقد غدى الفلاسفة لا يبحثون في الوقت الحاضر عن نظرية شاملة وإنما يسعون إلى توضيح المفاهيم والأفكار المرتبطة بالموضوع، هم مهتمون بالكشف عن المخاطر التي تحيط بهذه التطورات المتلاحقة ووضعها أمام المجتمع لإيجاد حلول لها، إذ إن مهمة التوصل إلى حل ليست مشكلة الفلاسفة وإنما هي مشكلة علماء النفس والمصلحين الاجتماعيين ورجال السياسة والقانون، في حين يحاول الفلاسفة إقامة التحليل الفلسفي حتى يتمكن من إقامة ضرب من التوازن بين القيم الأخلاقية والتطورات العلمية الجديدة من أجل تغيير نظام قيمنا، وتحليل المشكلات الأخلاقية التي تواجهنا- بسبب الهوية الواسعة بين فكر الإنسان والتكنولوجيا، وبذلك أصبحت الفلسفة بمثابة السلطة القانونية لتقييد أفعال العلم في جميع مجالاته ومناهجه بصفة عامة لصالح المنظومة الإيكولوجية مدعمة موقفها بما هو سلبى، لذلك يقال أن الأخلاق الكلاسيكية ركزت على المواقف الأساسية بين الأفراد التي يجب أن تسود فيها الفضيلة الباحثة عن الخير الإنساني فقط ولم تبحث عن خير الأشياء الموجودة خارج المجال الإنساني... وبالتالي حرمتنا من أن نفكر في الطبيعة على أنها شيء يجب تبجيله ولم تفكر في المستقبل بعيد المدى للإنسان، فهو يتطلب وجود تصورات أخلاقية جديدة تنبئ بصحوة فلسفية لجميع ميادين الحياة في كل ما هو جامد في الطبيعة المنبثق عنها الحياة العصرية لكن قابليها قمة التدمير السريع للقيم البيئية وثم للإنسان ليصل إلى المستقبل بمختلف مظاهره، لذلك فنحن بحاجة إلى فلسفة جديدة لاستيعاب طبيعة التكنولوجيا ذاتها على نحو أفضل ومعالجة القصور المفاهيمي الكبير والأثر الأخلاقي لتكنولوجيات علينا وعلى بيئتنا، فالإنسان بحاجة إلى فلسفة لبناء الإطار الفكري المناسب الذي يمكن أن يساعدنا على إدراك الدلالات (إعطاء معنى وإيجاد منطق) لما زقنا الجديد، باختصار نحن في حاجة إلى فلسفة تخصّ عصرنا من أجل عصرنا.

تضارب المصالح

يعلن المؤلف أنه ليس لديهم تضارب في المصالح.

- المصادر والمراجع

- 1- أحمد عبد الحليم عطية (2013)، مقدمة في الأخلاق النظرية والتطبيقية، القاهرة، مركز جامعة القاهرة للتعليم المفتوح.
- 2- أحمد ماري (2017)، الفلسفة والتحول العلمي الراهنة، ضمن كتاب جماعي (الإتيقا المتشظطة مقاربات في الفلسفة التطبيقية) مجموعة باحثين، ط1، بيروت، دار جيكور للطباعة والنشر.
- 3- إد دون (2006)، مدخل إلى فلسفة التكنولوجيا، تر فريال حسن خليفة، القاهرة، مكتبة مدبولي.

حقوق الإنسان... إلخ، أضف إلى ذلك الحروب الدائرة في أنحاء كثيرة في العالم... لقد بدأت التكنولوجيا تأخذ منحى جديدا... مما نتج سيطرت على العالم موجة من التشاؤم من إمكان حدوث مخاطر من تطبيقات الهندسة الوراثية مثلا كاستحداث كائنات حية مدمرة أو الإخلال الشديد بالطبيعة مما يؤدي إلى فوضى في مجريات التطور الطبيعي سواء على مستوى البشر أو الحيوان أو النبات كما ظهر لنا سابقا، وبذلك ظهرت الحاجة فيه إلى جهود الفلاسفة لكي يتولوا الإجابة عن الأسئلة المستجدة باستمرار حول الحياة بجميع أبعادها، لقد استنزت التطورات العلمية الحديثة الفلسفة للتدخل في مناقشة كل ما يرتبط بالتكنولوجيا وبالتالي تبين أن "النقاش الفلسفي يمكن أن يتخلص من الإستقطابات العقيمة والمربطة برؤى العالم التي سادت الفلسفة في القرون السابقة ليرتكز على موضوعات الفهم الأخلاقي التي بإمكان الجنس البشري أن يكونها لنفسه" (هابرماس 2006)، ص50) بالتفصيل المعاصر للمفهوم الأخلاقي الجديد المبتعد عن التجريد العقلي واعتماده على التطبيق التجريبي بانتقاله من مطلق كلاسيكي إلى نسبي معاصر قابل للتغيير، ليكون الاختلاف الأكسيولوجي مساهما في وجهة فكرية جديدة فأصبح لكل مجال إتيقا الخاصة به وذلك من أجل المستقبل، ولتفتح مجالا بعيدا عن نقاشات الفلسفة المعتادة عليها لأنها تطرح نتائج العلم وانعكاساته الأخلاقية المستقبلية، بدءا بضبط وتحديد سرعة التطور التكنولوجي المهيمن على الإنسان، "فالنظرة الآلية تسببت بموت الطبيعة عندما أجازت التوسع الصناعي والتجارب بلا ردع والإباحة الخلقية للتدمير الإنسان والبيئية عامة" (زيمرمان 2006، ص12)، إنه ونتيجة لما توصلت إليه الاختراعات الإلكترونية للتخمة مع غياب إيجابيات الدين وحمايتنا من الانفلات والإغراء بانتهاك مصالح الأجيال المستقبلية لتلبية رغباتنا على حساب الآخر فلم يترك لهم حتى الأمل، ولذلك فالفلاسفة اليوم يحاولون مثل الكثير من العلماء في كل التخصصات التفكير في طريقة التحكم في القدرة التي بلغها الإنسان عن طريق تطور التقنيات كي يقللوا من المخاوف القانونية والعلمية المشروعة أو حتى القضاء عليها إن أمكن، ويطرحون تساؤلات كثيرة ويحاولون الإجابة عنها مثل خاصة: هل نحن قادرون على وضع قرار يخص الأجيال القادمة؟ وهل يمكن أن نترك أمرا كهذا في يد فئة معينة من المجتمع كالعلماء أو رجال السياسة ونعيش نحن نفكر في قوت يومنا دون أن نهتم بما يحدث حولنا؟ وهل نحافظ على الحضارة أم نحافظ على الإنسان والحياة على الكوكب؟، أي الطرق ينبغي ان تسير عليه أبحاث العلماء؟ أيها أكثر أمانا وسلاما وأقدر على تحقيق الخير والسعادة والرفاه للبشر؟... إلخ.

إن مع ما نشهده اليوم من تقدم عملائي للعلوم التطبيقية الأخذة في الاطراد والاتساع إلى درجة باتت تحتل الحيز المعرفي الذي كان يشغل الفلسفة تبرز الحاجة إلى استشرافاتها

Responsibility: A Normative Look at Technological Complexity. Ethics Inf Technol 7, 99–107 (2005). على الموقع <https://link.springer.com/article/10.1007/s10676-005-4585-0>

26- Ihde Don (1991) , Instrumental Realism: The Interface between Philosophy of Science and Philosophy of Technology, Indiana , University Press Bloomington, 1991 .

27- Maarten Verkerk, Jan Hoogland, Jan van der Stoep, Marc de Vries, (2015) Philosophy of Technology An introduction for Technology and Business Students ; Portrait 12: Don Ihde (1934), 1st Edition, London, Routledge.

28 -Robert Eugene McGinn (August 2010), What's Different, Ethically, About Nanotechnology?: Foundational Questions and Answers, NanoEthics 4(2):115-128, على الموقع https://www.researchgate.net/publication/225362341_What's_Different_Ethically_About_Nanotechnology_Foundational_Questions_and_Answers.

- كيفية الاستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA

غنيمت هارون، (2024) التفكير الفلسفي واليومي وإشكاليات التكنولوجيا، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 16، العدد 01، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، ص ص: 353-365.

4- أولسن جان كبيرج وأخرون(2018)، موجات جديدة في فلسفة التكنولوجيا، تر شوقي جلال، القاهرة، المركز القومي للترجمة.

5- أيوب أبو دية(2021)، فلسفة التكنولوجيا، الآن ناشرون وموزعون، عمان.

6- جاكين روس (2001)، الفكر الأخلاقي المعاصر، تر: عادل الهوا، 1، لبنان، عويدات للنشر والطباعة.

7- حسين قبيسي، عصر الفلسفة... في عصر التكنولوجيا، على الموقع:

<https://claudeabouchacra.wordpress.m/2013/10/29/%D8%B9%D8%B5%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D9%81%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%B9%D8%B5%D8%B1-84%D9%88%D8%AC%D9%8A%D8%A7/>

8- سعيد محمد الحفار(1984)، البيولوجيا ومصير الإنسان، سلسلة عالم المعرفة، العدد 83، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

9- صابرين زغلول السيد (2019)، التقنية والعزلة: دراسة في الأنثروبولوجيا الفلسفية عند برداييف، مجلة الإستغراب، بيروت، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، العدد 15، السنة الرابعة، 2019، صص 186-203.

10- عامر عبد زيد الوائلي(2019)، البيوتيقا والتقنية والتحويلات المعاصرة، هابرماس أنموذجا، مجلة الإستغراب، بيروت، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، العدد 15، السنة الرابعة، صص 222-233.

11- عبد السلام بن عبد العالي، (2009) مدارات الحداثة، ط1، بيروت لبنان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

12- علي حرب (2013)، موسوعة الأبحاث الفلسفية للرابطة العربية للأكاديمية الفلسفية، الفلسفة الغربية المعاصرة، ج 2، الرباط، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف الرابطة المصرية الأكاديمية للفلسفة، دار أمان.

13- عمران صورية (1997)، الحتمية الجينية وسؤال الأخلاق، ضمن كتاب جماعي (الإنشائية المنهجية مقاربات في الفلسفة التطبيقية)، ط1، بيروت، دار جيكور للطباعة والنشر.

14- غيضان السيد علي(2019)، الانتهاك التقني للمقدس وهم الفردوس الأرضي وتشويق الإنسان، مجلة الإستغراب، بيروت، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، العدد 15، السنة الرابعة، صص 204-221.

15- مارك غراسان (2019)، وثق التقنية وعبادة الشيء، مجلة الإستغراب، بيروت، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، العدد 15، السنة الرابعة، 2019، صص 38-48.

16- مايكل زيمرمان(2006)، الفلسفة البيئية) من حقوق الحيوان إلى الايكولوجيا الجذرية(، ج 1، تر: معين شفيق رومية، الكويت، سلسلة عالم المعرفة.

17- مصطفى كحيل(2016)، الأخلاقيات التطبيقية والرهانات المعاصرة للفكر الفلسفي، منشورات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، السداسي الأول.

18 - ناهد البقصي(1993)، الهندسة الوراثية والأخلاق، سلسلة عالم المعرفة، العدد 174، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

19- نديم نجدي(2017)، قيامة الفلسفة مآل الكلمة في العصر الرقمي، ط 1، بيروت لبنان، دار الفارابي.

20- يورغن هابرماس (2010)، مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، تر جورج كتورة، ط 1، بيروت، المكتبة الشرقية.

21- Arun Kumar Tripathi (december 2004), Technologaly Mediated Lifeworld, Institute for Philosophy, at Dresden University of Technology, زيارة 6/6/2023، <https://ubiquity.acm.org/article.cfm?id=1670827>.

22- Beauchamp, Tom L. and James F. Childress, 2019, Principles of Biomedical Ethics, eighth edition, New York: Oxford University Press.

23- Fox, R.M, Demarco.J.P.(1986), New Direction in Ethics The Challenges in Applied Ethics, Routledge &Kegan Paul, New York .

24- Jürgen Habermas,(1986) Morale et communication: conscience morale et activité communicationnelle,Tr ; Flammarion,Paris, éd. Du Cerf (Passages) .

25- Johnson, D.G., Powers, T.M. ,(2005) Computer Systems and